حتى قيل إن سهم الفارس بلغ ثلاثة آلاف دينار والراجل ألف دينار[١]

ثم وجه ابن أبي سرح همه إلى الجنوب فغزا بلاد النوبة من جديد ، وبلغ دنقلة فى سنة ٣١ هـ وقاتل أهلها قتالا شديدا[٢] ، ومع ذلك فإن النصر لم يتم لابن أبي سرح ، فلجأ إلى مهادنة النوبيين وعقد معهم صلحاً رواه من المؤرخين البلاذري والكندى والمقريزى وترجمه لين بول فى «تاريخ مصر فى العصور الوسطى» (ص ٢٠—٢١) وهو أشبه بمعاهدة اقتصادية بين مصر والنوبة : هذه تمدهم بشىء من الحبوب والعدس، وتلك ترسل إليهم الرقيق[٣]

كذلك تولى ابن أبي سرح قيادة معركة بحرية نشبت سنة ٣١هـ[٤] بين العرب والبيزنطيين تحت قيادة ملكهم قسطنطين بن هرقل ، وكان النصر للعرب على الروم فى هذه الموقعة التى عرفت باسم موقعة « السوارى » أو « ذات السوارى » لكثرة سواري المراكب التى اشتركت فى القتال[٥]

أما مثير هذه الحرب فهو قسطنطين بن هرقل فلقد دبّ فى نفسه دبيب السخط فعمل على الأخذ بالثأر لما أصاب المسلمون من أملاكه فى غرب مصر ، فخرج فى عدد من المراكب يتراوح بين خمسمائة وألف على ما ذهب إليه المؤرخون على اختلافهم ، وخرج ابن أبي سرح بمائة مركب ، واشتبك القتال بالغرب من الساحل الافريقى فى الفرضة المسماة بفرضة زيواره[٦]

حسن ابراهيم حسن

(١) البلاذرى ص ٢٣٤ ، والكندى ص ١٢ (ذكر البلاذرى ان النزوتم فى سنة ٢٧ أ : ٢٨ أ ، ٢٩ هـ)

(٢) يدلك على شدة القتال بين العرب وأهل النوبة (أو الأساود) هذا البيت الذي رواه الكندى :

لم ترعيني مثل يوم دمقله والخيل تعدو بالدروع متقله

(٣) البلاذري ص ٢٤٥ — ٢٤٦ والكندى ص ١٢ — ١٣

(٤) يؤكد الطبرى أن هذه المعركة حدثت سنة ٣١هـ لا ٣٤هـ كما ذكر بعض المؤرخين .

(٥) روى الطبرى أن عدد المراكب بلغ خمسمائة (وقيل ستمائة) وقال الكندى ص ١٣ أن عدد مراكب الروم بلغ ألفاً (وقيل سبعمائة) وبلغ عدد مراكب المسلمين مائتين

(٦) الطبري (طبعة القاهرة) ج ٥ ص ٦٩ ، ٧٠

حظى بالشىء ...

لأستاذ جليل

الرافعي ، المجمع اللغوى ، أزهرى المنصورة ، اليازجى ... ...

— ٢ —

طالع الأستاذ الرافعى (رحمه الله) كلمة المجمع اللغوى (البلاغ ١٧ شوال ١٣٥٢) فنشر مقالة عنوانها (أول الغلط من المجمع اللغوى ، رد على رد) — البلاغ ١٨ شوال ١٣٥٢ — أطنب[١] فيها فى أمر البرقية ثم قال : « وانتهى الأستاذ (أى مدره[٢] المجمع الشيخ حسين والى) إلى مادة اللغة فلم يأتنا بكلام من الفصيح جاء فيه مثل استعمال (يحظى بتشريف) بل سكت عن هذا مع أنه هو كل ما نريد . ثم قال : إنه يجوز استعمال الباء مع حظى واستدل بقول الزمخشرى فى الأساس (حظى بالمال وأحظاه الله بالبنين) وهاهنا أردنا أن يبحث أعضاء المجمع فى وجه استعمال حظى بالمال وحظى بالبنين ، فانهم إن اهتدوا إليه فسيرونه رداً عليهم . ولا نزال نطلب منهم أن يأتونا بالتاريخ الاجتماعى لهذا الفعل (حظى) لينكشف لهم الخطأ فى استعماله . ثم قال فضيلته : (إنهم استعملوا التشريف بمعناها الأصلى لا بمعنى الحضور ، ومعموله مفهوم أى تشريف جلالته إياه) قال هذا وسكت عن الباقى ، والباقي هو قولهم (تشريف جلالته إياه لافتتاحه) فاذا لم تكن هذه اللام فى (افتتاحه) نصاً فى تقييد معنى التشريف بالحضور فما موضعها هنا ؟ إن المجمع على كل حال قد حظى بتشريف جلالته إياه) إذا أريد من التشريف معناه الأصلى ، فان هذا — المجمع إنما هو عناية سامية من جلالة مولانا الملك وأثر من آثار فضله وبركة من بركات يمنه وكل هذا تشريف ، فعلى تأويل حضرة العضو يكون كلامهم لغواً لا محل له ، وإلا فرده هو لغو لا محل له »

* * *

(١) الاطناب البلاغة فى المنطق والوصف مدحاً كان أو ذماً ، وأطنب فى الكلام بالغ فيه (اللسان)

(٢) قال أبو زيد : المدره لسان القوم والمتكلم عنهم (اللسان)

الأستاذ الرافعي وأزهرى المنصورة

فى ١٩ من شوال سنة ١٣٥٢ ظهرت فى (البلاغ) كلمة عنوانها « حظى بالشى والأديب الصغير » للأستاذ أزهرى المنصورة . ومما قاله : « قال (ديوان الحماسة) :

أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته

ومدمن القرع للابواب أن يلجا

وقال (الأساس) : « وحظى بالمال ، وتقول : ما حَلِيَ بطائل [1] ، ولا حظى بنائل »

وديوان الحماسة هو الذى اختاره أبو تمام ، قالوا : « لم يجمع فى المقطعات مثل ما جمع أبو تمام [2] » وأبو تمام حجة، فما قولك فيما رواه من شعر العرب . قال (الكشاف) : « وهو وإن كان محدثاً لا يستشهد بشعره فى اللغة فهو [3] من علماء العربية ، فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه . ألا ترى إلى قول العلماء : (الدليل عليه بيت الحماسة) فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه »

والأساس هو (أساس البلاغة) لأستاذ الدنيا جار الله « ومن خصائصه — كما قال أبو القاسم — تخيّرُ ما وقع في عبارات البدعين ، وانطوى تحت استعمالات المفلقين »

فالأديب الصغير لم يحظ بالصواب حين خطّأ (حظى بالشىء) فى قول حضرة أعضاء المجمع اللغوى لا (حضرات أعضاء المجمع) كما قالت حضرته ، لأن الأعضاء كلهم أجمعين حضرة واحدة ، ومن المستحيل أن يكونوا حضرتين أو ثلاث حضرات أو أكثر من ذلك

أجلْ ، إن أعضاء المجمع اللغوى محظوظون [4] كل المحظوظين لكنهم ما أخطأوا فى فعل (الحظوة) كما قال (الأديب الصغير) اليوم ، وأديب كبير من قبل

* * *

رد الأستاذ الرافعى (رحمه الله) في (البلاغ ٢١ شوال ١٣٥٢) على الأستاذ أزهرى المنصورة بمقالة عنوانها (حظى بالشىء) ومن هذا الردّ :

جاءنا حضرة أزهرى المنصورة بالحجة القاطعة والشهادة القائمة على أن (حظى بالشى) هى من كلام العرب ، فكان كل ما قاله في هذا هو هـذا : (قال ديوان الحماسة (وأورد البيت) وقال الأساس (وذكر قوله)

نحن نشير فى كلامنا فى انتقاد (العشرين حضرة) إلى مغامز دقيقة لا نستطيع أن نكشفها ، ولقد طالبناهم أن يأتونا بالتاريخ الاجتماعى لفعل (حظى) إن كانوا علماء لغـة وفلاسفة لغة ، وسألناهم عن الكلام الفصيح الذى جاء فيه مثل قولهم (حظى بتشريف) وما نجهل ما قاله الأساس ولا بيت الحماسة ، ولو سأل (أزهرى) حضرة الأستاذ صاحب البلاغ ليبيّن له أنا كتبنا هـذا البيت فى كلمتنا الثانية فى الرد على فضيلة الأستاذ الشيخ والى ثم ضربنا عليه وأسقطناه من الكلام إذ ليس من عملنا نحن أن نأتى بالأدلة الفاسدة ثم نزيفها ، ونبين فسادها

البيت لمحمد بن بشير الخارجى وهو من شواهـد النحاة المشهورة ولا مطعن عليه . لكن الشاعر لا يريد الحظوة بل أراد معنى آخر فضاق باللفظ ، ولم يوفق إلى غرضه فاضطر أن يضمن (حظى) معنى (ظفر) وتقل الفعل عن أصله ، وحوله عن دلالته فلم تبق الكلمة حظى بل ظفر وسقطت حجة أزهرى

وقد نص النحاة فى شرح البيت على ما ذكرناه من معنى التضمين ، ويدل عليه أن بشار بن برد لما أراد هذا المعنى وأطلق العبارة لم يستعمل حظى بل قال :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

أما قول صاحب أساس البلاغة فلا دليل فيه لأعضاء المجمع بل هو من دليلنا نحن ، لأننا ننكر الاستعمال ونستهجنه مقيداً باعتبارين : الأول أنه من أعضاء مجمع اللغة ، والثانى أنه فى كلمتهم المرفوعة إلى جلالة الملك

---

(١) قلت : فى (الفائق) : حلوته كذا إذا حبوته به ، وحلى به إذا ظفر به : وفى (الصحاح) : لم يحل منه بطائل : لم يستفد منه كبير فائدة ، ولا يتكلم به إلا مع الجحد

(٢) قلت : القول للزمخشرى ويمده : « ولا فى المقصدات مثل ما جمع المفضل » وفى شرح الحماسة للتبريزي : « من أجود ما اختاروه من القصائد المفضليات ومن المقطعات الحماسة »

(٣) قلت : فى (الكليات) : الفاء فى خبر المبتدأ المقرون بان الوصلية شائع فى عبارات المصنفين ، ووجهه على أن يجعل الشرط عطفاً على محذوف والفاء جوابه والشرطية خبر المبتدأ ، وإن جعل الواو الحال والشرط غير محتاج إلى الجزاء فاشبه الخبر بالجزاء حيث قرن بالمبتدأ الشرط

(٤) فى اللسان : « لم أسمع لمحظوظ بفعل أى أنهم لم يقولوا حظ » أى بالبناء لما لم يسم فاعله ، والقائل هو الأزهرى وإن لم يذكره اللسان

وبعد هذا نقول (لأزهرى) : إن سجعة الزمخشرى التى استدل بها هي كأكثر سجع الرجل فى كتابه من الكلام الغث البارد الذى لا وزن له ، وقد سمّي الرجل كتابه أساس البلاغة ولم يسمه أساس اللغة »

قلت : قال الأستاذ الرافعى (رحمه الله) : وهو (أى بيت محمد بن بشير) من شواهد النحاة المشهورة

والشاهد فيه حذفه حرف الجر من (مدمن) ومثل ذلك جائز . ويحذف هذا الحرف فى المعطوف على ما تضمن مثل المحذوف وإن انفصل عنه بلا كقوله — وهو من شواهدهم —

ما لحب جَلْدٌ أن يهجرا ولا حبيب رأفة فيجبرا

ولبيت بشار المذكور فى (الرد) حكاية لطيفة رواها أبو الفرج وابن الخطيب :

غضب بشار على سَلْم الخاسر[1]، وكان من تلامذته ورواته فاستشفع عليه بجماعة من أخوانه ، فجاءوه فى أمره ، فقالوا : جئناك فى حاجة ، فقال : كل حاجة لكم مقضية إلا سلماً . قالوا : ما جئناك إلا فى سلم ، ولا بد من أن ترضي عنه لنا ، فقال : أين هو الخبيث؟ قالوا : ها هو ذا . فقام إليه سلم فقبّل رأسه، ومثل بين يديه وقال : يا أبا معاذ ، خريجك وأديبك . فقال : يا سلم من الذى يقول :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

فقال : أنت يا أبا معاذ ، جعلني الله فداءك ! قال : فمن الذى يقول:

من راقب الناس مات غمّا وفاز باللذة الجسور

قال : خريجك يقول ذلك . قال : أفتأخذ معانيّ التى قد عنيت بها وتعبت فى استنباطها فتكسوها ألفاظاً أخف من ألفاظى حتى يروى ما تقول ويذهب شعرى ؟ لا أرضى عنك أبداً . فما زال يتضرع إليه ويشفع له القوم حتى رضى عنه »

ولقد تجرأت فذكرت قول الأستاذ الرافعى (رحمه الله) : « إن سجعة الزمخشرى التى ... » أجل أن أبين أن الكبير قد يحمل على شيء غضبه فى بعض الأحايين فيقول . والشاهد فى (الأساس) هو (وحظى بالمال) والسجعة إنما هى مثال

وإنى لموقن حق موقن أن ليس فى هذا العصر من يسبق الأستاذ الرافعى فى إجلال إمام الأئمة وعرفان مقداره

وإذا استنزل بعض سجعات فى (الأساس) مستنزل فى (الكشاف) ما « تنقطع عليه أعناق المتاق السبّق ، وتنى عنه خطا الجياد القرح » وثنت عنده أقول بليغة ، قائلوها بلغاء من الطراز الأول

* * *

أجاب الأستاذ أزهرى المنصورة فى (البلاغ ٢٦ شوال ١٣٥٢) — الأستاذ الرافعى (رحمه الله) وعنوان الجواب (أئمة اللغة ، حظى بالشيء ، الشيخ ابراهيم اليازجى) ومما قال :

« ١ — أوردنا بيت (الحماسة) وفيه أن (يحظى بحاجته) ، وقد شرح هذا الديوان أئمة كثيرون ، وجمع الإمام التبريزى شروحهم ، ولم يعترض على قائل ذلك البيت معترض

٢ — وجئنا بكلام (الأساس) والزمخشرى هو صاحب الكشاف عن حقائق التنزيل

٣ — وجاء فى (نهج البلاغة) : (وحظوا من الدنيا بما حظي به المترفون ، وأخذوا منها ما أخذه الجبابرة المتكبرون)

وقد فسر العلامة (ابن أبي الحديد) العهد الذى فيه هذه اللفظة ولم ينقدها ، وشارح النهج من أئمة العلم والأدب

وإذا قيل : هو النهج ، وقد قالوا فيه ما قالوه — قلنا : حال (النهج) كحال الأقوال لوفود العرب على كسرى ووفود قريش على سيف بن ذى يزن وأمثالها ، وقد اطمأنت الأئمة إلى عربيتها والنهج معظمه ظهر حين افتعال تلك الأقوال . والقرن الثانى والثالث أوله ومنتصفه أقرب إلى العربية الأولى من آخره ومن جميع الرابع . وقد أملى ابن دريد فى زمانه (ووفاته سنة ٣٢١) تلك الروايات والأساطير ، وأصبحت لغتها فى كتاب (الأمالى) حجة المحتج[1]

٤ — وجاء فى المقامات لابن الحريرى (وهو من أئمة اللغة) فى المقامة الأربعين : (نهضا وقد حظيا بدينارين) وللعلامة ابن الخشاب البغدادى رسالة فى تخطئة الحريرى ، وقد غلطه فى ألفاظ كثيرة فى مقاماته ولم يخطئه فى (حظيا بدينارين)

قد يكون هذا الفعل (حظي بكذا) نشأ فى الزمن الاسلامي

(١) سمي الخاسر لكونه باع مصحفا واشترى به طنبوراً (الوفيات)

(١) قلت: وكلها — لا بعضها — مصوغة مصنوعة

أو الأموى نشوء ألوف مثله لا قبل ذلك ، لكن هذا لا يضير ، وقد نجمت ألفاظ فى القرن الخامس فى (الجزيرة) ولما جاء الامام الزمخشرى[1] وسمها استجادها وأودعها كتبه

كيف كانت الحال لو لم يجىء الاسلامى والمولد والمعرب ؟ وهل كانت ألفاظ (الجزيرة) فى الجاهلية تجزى فى تلك المدنية الزاخرة ؟ »

قلت : أشار الأستاذ (أزهرى المنصورة) إلى ناشئات القرن الخامس أو (نواشئه) وإيداع الزمخشرى بعضها كتبه . وهذه تتفة منها فى (أساسه) :

« أهل الحجاز يسمون الزرع والطعام (عيشاً)

سماعى من فتيات مكة : الصوفية[2] (اللوقية) : لاف الطعام لوفاً وهو اللوك والمضغ الشديد

سمعتهم يقولون فى كل شىء لا يحسن الانسان عمله : قد (حمقه) !

اكتريت من أعرابى فقال لى أعطنى من (سطانهن) أراد من خيار الدنانير

سمعت خادماً من اليمامة يقول — وقد وكف السق — : يا سيدى هل (أهب) عليه التراب بمعنى هل أجعله عليه ، وهو من الهبة لأن معنى وهب له الشىء جعله له

رأيت العرب يسمون الكزبرة (الدقة) وسمعت باعة مكة ينادون عليها بهذا الاسم

سمعت بمكة من يقول لحامل الجُوالق[3] (استشق به) أى حرفه على أحد شقيه حتى ينفذ الباب

سمعت بعضهم يقول : (عكشتك) بمعنى سبقتك من قوله (عليه السلام) : « سبقك إليها عُكّاشة » وهو عكاشة بن محصن الأنصارى »

ومما أورده الامام الزمخشرى فى (كشافه) : « مما طُنّ على أذنى من ملح العرب أنهم يسمون مركباً من مراكبهم بالشَّقْدف وهو مركب خفيف ليس فى ثقل محامل العراق ، فقلت فى طريق الطائف لرجل منهم : ما اسم هذا المحمل ، أردت المحمل العراقى ، فقال : أليس ذاك اسمه الشقدف ؟ قلت : بلى ، فقال : هذا اسمه (الشقنداف) فزاد فى بناء الاسم لزيادة المعنى »

ومن كلمة الأستاذ أزهرى المنصورة « لم يقل أحد شيئاً فى الفصل (حظى بالشىء) إلا العلامة الشيخ ابراهيم اليازجى وكان هذا الرجل قد جاء مصر وأنشأ فيها مجلة (البيان) ثم مجلة (الضياء) وعلق ينقد ويغلّط . وكان يغلط كثيراً فى تغليطه ونقده . ومن هفواته التى أذكرها زمن الطلب فى الأزهر مخطئته الأديب الكبير (حافظاً) فى قول فى كتاب (البائسين) وقد لاقاه بعد هذا النقد حجة الاسلام (السيد محمد رشيد رضا) فقال له — وقد سمعنا قوله — : (يا شيخ ، يا شيخ ، إن الذى خطأته فى كلام حافظ ابراهيم هو فى أول صحيح البخارى) فبهت الشيخ إبرهيم ، وترك السيد وهو كاسف البال . وكان وقوف الشيخ اليازجى على المعجمات وكتب الآلات أكثر من اطلاعه على كلام العرب ، ومن هنا ومن فرط ميله إلى القياس هوى فيما هوى فيه »

الاسكندرية (***)

الفصول والغايات

معجزة الشاعر الأديب

ابى العلاء المعرى

طرفة من روائع الأدب العربى فى طريقته ، وفى أسلوبه ، وفى معانيه . وهو الذى قال فيه ناقدو أبى العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة فى القاهرة وصدر منذ قليل

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمود حسن زناتى

ثمنه ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد

وهو مضبوط بالشكل الكامل ويقع فى قرابة ٥٠٠ صفحة

ويطلب بالجملة من إدارة مجلة الرسالة ويباع فى جميع المكاتب الشهيرة

(١) قلت : ولادة الزمخشرى سنة ٤٦٧ وتوفى سنة ٥٣٨ كما ذكر ابن خلكان

(٢) فى الأساس : الصوفية زفانة حفانة ، يرقصون ويجرقون الطعام بحفناتهم ، والزمخشرى حرب الجاعة ، وتهجنيه إياها فى كشافه كثير

(٣) الجوالق وعاء معروف معرب كواله كما فى الفتح والصواب أنه معرب جوالة بالجيم الفارسية المنقوطة بثلاث من تحت ج جوالق بالفتح (التاج) أى فتح الجيم